

الفصلُ الثاني

٢- عبادة الملائكة



## نظرة في طبيعة الملائكة :

الملائكة مطبوعون على طاعة الله ، ليس لديهم القدرة على العصيان ( لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ) ، ( سورة التحريم / ٦ ) .  
فتركهم للمعصية ، وفعلهم للطاعة جبلة ، لا يكلفهم أدنى مجاهدة ، لأنه لا شهوة لهم .

ولعل هذا هو السبب الذي دعا فريقاً من العلماء إلى القول بأن الملائكة ليسوا بمكلفين وأنهم ليسوا بداخلين في الوعد والوعيد (لوامع الأنوار ٤٠٩/٢) .  
ويمكن أن نقول : إن الملائكة ليسوا بمكلفين بنفس التكاليف التي كلف بها أبناء آدم . أمّا القول بعدم تكليفهم مطلقاً فهو قول مردود ، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة ( يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ) سورة النحل / ٥٠ . وفي الآية أنهم يخافون ربهم ، والخوف نوع من التكاليف الشرعية ، بل هو من أعلى أنواع العبودية كما قال فيهم : ( وهم من خشيته مشفقون ) ، ( سورة الأنبياء / ٢٨ ) .

## مكانة الملائكة :

خير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد الله ، ولكنهم عباد مكرمون ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن دعوى المشركين في أن الملائكة - بنات الله - دعوى باطلة لا نصيب لها من الصحة ، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع، قال تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ،

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشية مشفقون ، ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين )، (سورة الأنبياء / ٢٦ - ٢٩ ) .

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية ، قائمون بالخدمة منفذون للتعاليم ، وعلم الله بهم محيط ، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر ، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم ، خائفون وجلون ، وعلى احتمال أن بعضهم تعدى طوره فإن الله يعذبه جزاء تمرده .

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين ، ولا يعترضون على أمر من أوامره ، بل هم عاملون بأمره ، مسارعون مجببون ( لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون )، (سورة الأنبياء / ٢٧) وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به ، فالأمر يحركهم ، والأمر يوقفهم ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - لجبريل : ( ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟! ) قال : فنزلت : ( وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً )، (سورة مريم / ٦٤) .

نماذج من عبادتهم :

الملائكة عباد الله ، مكلفون بطاعته ، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف بيسر وسهولة . وسنورد - هنا - بعض العبادات التي حدثنا الله ، أو رسوله - ﷺ - أنهم يقومون بها .

التسبيح :

الملائكة يذكرون الله تعالى ، وأعظم ذكرهم التسبيح ، يسبحه تعالى حملة عرشه : ( الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ) (سورة غافر / ٧) كما يسبحه عموم ملائكته : ( والملائكة يسبحون بحمد ربهم )، (سورة الشورى / ٥) .

وتسبيحهم لله دائم لا ينقطع لا في الليل ولا في النهار ( يسبحون الليل والنهار لا يفترون )، (سورة الأنبياء / ٢٠) .

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبحون في الحقيقة وحق لهم أن يفخروا بذلك : ( وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون )، (سورة الصافات/ ١٦٥ - ١٦٦) .

وما كثرة تسبيحهم إلا لأن التسبيح أفضل الذكر ، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر ، قال : سئل رسول الله - ﷺ - : أي الذكر أفضل ؟ قال : ( ما اصطفى الله للملائكة أو لعباده : سبحان الله وبحمده ) .

صلاتهم :

سبق ذكر الحديث الذي يحث الرسول - ﷺ - فيه أصحابه على الاقتداء بالملائكة في الاصطفاة للصلاة : ( ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ ) وعندما سئل عن كيفية اصطفاةهم قال : ( يتمون الصف الأول فالأول ، ويتراصون في الصف ) رواه البخاري .

وفي القرآن عن الملائكة : ( وإنا لنحن الصافون ) ، (سورة الصافات ١٦٥) وهم يقومون ويركعون ويسجدون ، ففي مشكل الآثار للطحاوي والطبراني في المعجم الكبير عن حكيم بن حزام قال :

( بينما رسول الله - ﷺ - في أصحابه إذ قال لهم : أستمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء ، قال : إني لأسمع أطيح السماء ، وما تلام ان تثط ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم ) .

قال فيه الألباني ( صحيح على شرط مسلم )، (سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٨٥٢) .

حجهم :

وللملائكة كعبة في السماء السابعة يحجون إليها ، هذه الكعبة هي التي

أسماءها الله تعالى : البيت المعمور ، وأقسم به في سورة الطور ( والبيت المعمور ) ، ( آية ٤ / ) .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : ( ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ - قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة : ( ثم رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم ) يعني يتعبدون فيه ، ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم ، والبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ، ولهذا وجد إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، لأنه باني الكعبة الأرضية ، والجزء من جنس العمل ) . وذكر ابن كثير أن البيت المعمور بخيال الكعبة ، أي فوقها لو وقع لوقع عليها ، وذكر أن في كل سماء بيتاً يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة .

وهذا الذي ذكره ابن كثير من أن البيت المعمور بخيال الكعبة مروى عن علي بن أبي طالب ، أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعة أن رجلاً قال لعلي - رضي الله عنه - : ما البيت المعمور ؟ قال : ( بيت في السماء يقال له الضُّرَّاح وهو بخيال الكعبة من فوقها ، حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، ولا يعودون فيه أبداً ) .

قال فيه الشيخ ناصر الدين الألباني : ( الأحاديث الصحيحة ٢٣٦/١ ) ورجاله ثقة غير خالد بن عرعة وهو مستور ... ثم ذكر أن له شاهداً مرسلًا صحيحاً عن الرسول - ﷺ - من رواية قتادة ، قال : ذكر لنا أن النبي - ﷺ - قال يوماً لأصحابه : ( هل تدرّون ما البيت المعمور ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه مسجد في السماء ، تحته الكعبة ، لو خرّ لخر عليها ... ) .

ثم قال المحقق ( الألباني ) : ( وجملة القول أن هذه الزيادة ( خيال

الكعبة ) ثابتة بمجموع طرقها) .

خوفهم من الله وخشيتهم له :

ولما كانت معرفة الملائكة بربهم كبيرة ، كان تعظيمهم له ، وخشيتهم له ، عظيمة ، قال الله فيهم : ( وهم من خشيته مشفقون ) ، ( سورة الأنبياء / ٢٨ ) .

يبين شدة خوفهم من ربهم ما رواه النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : ( إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ، أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرروا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل - عليه السلام - ، فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ... الحديث ) ، ( رواه ابن جرير وابن خزيمة والطبراني وابن أبي حاتم واللفظ له ) .

وفي معجم الطبراني الأوسط باسناد حسن عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : ( مررت ليلة أُسري بي بالملا الأعلى ، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى ) . ( صحيح الجامع ٥ / ٢٠٦ ) .

( والحلس : كساء يبسط في أرض البيت ) .